لنقرأ
Linaqrae

المرأة الجديدة (1900)
قاسم أمين
وقت القراءة : 7 دقائق

لم يخطئ قدماء الفلاسفة في مسألة خطئهم في معنى الحرية الإنسانية؛ و ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن الله خلق الناس على قسمين: قسم ميزه بالحرية، و القسم الآخر قضى عليه بالرق.

و كانت معيشة الأحرار بعيدة عن الاستقلال، و متأثرة بسلطة رؤساء العائلات و رؤساء الحكومة.

و التاريخ يحدثنا بأن الحكومة في تلك الأعصر الخالية كانت تتداخل في كل ما يتعلق بالحياة الخاصة، و كان لها الشأن الأول في نظام العائلة، و التربية، و الديانة، و الأخلاق و العواطف؛ حتى إنها كانت تحدد في المعاملات التجارية أثمان البضائع، و قد وصلت بها الأثرة بالتداخل في شئون الحياة الخاصة، إلى حد أن قوانين اليونان القديمة كانت تحجر على النساء الخروج من منازلهن إلا في أحوال مبينة، فكانت المعيشة الاجتماعية هي أشبه شيء بالعيشة العسكرية، يأمر الحاكم حينما يريد بما يريد، و ما على المحكومين إلا أن يطيعوا أوامره.

و لما تقدم العالم في المدنية، تخلص الفرد شيئا فشيئًا من سلطة الهيئة الاجتماعية، و وسع في دائرة حريته. و انعكس الأمر، فما كان في السابق أصلا عاما، أصبح الآن من المستثنيات، و من ثم صارت غاية التمدن أن ينال الفرد أقصى ما يمكن من الاستقلال و الحرية.

ذلك لأن الإنسان ترقى في فكره، فهو يرى أن تسليم نفسه إلى تصرف الحاكم أمر لا تسلم به لمنزلته من الإنسانية، و لا يتفق مع راحته و سعادته؛ و لهذا فهو لا يقبل أن يتنازل لأحد عن حريته. و لا أن يأتمن أحدا عليها و لو كان أقرب الناس إليه، و لا يسمح بأن يترك منها إلى الحكومة إلا بقدر ما يلزم تركه؛ لتتمكن من تأدية وظيفتها، و هي المحافظة على الأمن العام في الداخل، و المدافعة عن سياج الأمة في الخارج، و أيضا القيام بالأعمال التي تعود منفعتها على الجميع.

بحسب هذا الشرط يخضع الفرد إلى ما تقرره عليه من الأعمال و الأموال، أما إذا أرادت الحكومة أو أي فرد من الناس أن يدخل في عمل من أعماله أو شأن من شئونه الخاصة، فإنه يشعر بثقل الضغط عليه، ويجد في نفسه ألم الظلم.

و لذلك سببان:
الأول: أن رأي الحاكم أن طابق هوى شخص، فقد يخالف أهواء الأغلب؛ لأن الأمزجة مختلفة، و الغرائز متباينة، و الأذواق متفاوتة على حسب الأشخاص و الأعمار و الأزمان و الأمكنة.

المرأة الجديدة (1900)
قاسم أمين

فوضع قاعدة واحدة لجميع الأعمال الخاصة بكل فرد لا يسهل على الطباع البشرية قبوله.

و الثاني: ما دلت عليه التجارب، من أن تداخل الحاكم في الشئون الخاصة للأفراد يضعف من قواهم، ويحرمها القدرة على تأدية وظائفها، و يورث النفوس الخمود والعجز عن العمل، والاتكال على الغير، وهو وإن أشعر بعض النفوس لذة الكسل، عاقبة أقفال المدارس اشتداد ثورة الأفكار عما كانت عليه من قبل، والخلود إلى الراحة، لكنه يعود عليها بالخسة وشقاء المعيشة.

فالحرية هي قاعدة ترقي النوع الإنساني ومعارجه إلى السعادة؛ ولذلك عدتها الأمم التي أدركت سر النجاح من أنفس حقوق الإنسان.

ومن المعلوم أن المقصود من الحرية هنا هو استقلال الإنسان في فكره وإرادته و عمله متى كان واقفا عند حدود الشرائع، محافظا على الآداب، و عدم خضوعه بعد ذلك في شيء لإرادة غيره، اللهم إلا في أحوال مستثناة، كالجنون والطفولية، حتى بالنسبة للأطفال رأى علماء التربية الصحية أن الضغط على الأطفال مميت لعزيمتهم، و رجحوا أن يترك الطفل يتصرف في نفسه بحرية، و إنما على والديه إرشاده و نصحه.

فهذه الحرية على ما بها من سعة هي التي يجب أن تكون أساسا لتربية نسائنا، يتعجب بعض الناس من طلبي تخويل الحرية للنساء، و يتساءلون: هل هن في قيد الرق؟ و لو فهموا معنى الحرية لما اختلفوا معنا في الرأي:
ليس مرادنا أن نقول: إن المرأة اليوم تباع و تشترى في الأسواق، و لكن ليس الرقيق هو الإنسان الذي يباح الإتجار به فقط، بل الوجدان السلم يقضي بأن كل من لم يملك قياد فكر و إرادته و عمله ملكا تاما فهو رقيق!

لا أظن أن القارئ يختلف معي في الرأي إن قلت: إن المرأة في نظر المسلمين على الجملة ليست إنسانا تاما، و إن الرجل منهم يعتبر أن له حق السيادة عليها، و يجري في معاملته معها على هذا الاعتقاد، و الشواهد على ذلك كثيرة.